فتح رب البرية
بتخليص الحموية

للعلامة محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، [illegible].

[illegible] 10 [illegible] 661 [illegible] 728 [illegible] ([illegible]) [illegible] 698 [illegible] 83 [illegible].

[illegible]) [illegible]). وقد طبعته لأول مرة في سنة 1380 هجرية. وها أنا أعيد طبعه للمرة الثانية، وربما غيرت ما رأيت من المصلحة تغييره من زيادة أو حذف. [illegible].

الباب الأول: فيما يجب على العبد في دينه

[illegible]

الباب الثاني: فيما تضمنته رسالة النبي من بيان الحق

أما امتناع السكوت، فوجهه أن السكوت إما أن يكون عن جهل منهم بما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات وما يجوز عليه منها وما يمتنع، وإما أن يكون عن علم منهم بذلك ولكن كتموه، وكل منهما ممتنع.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الثالث: في طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

[illegible]

التحريف

[illegible]

1. [illegible]

2. [illegible]

3. و[illegible]

التعطيل

[illegible]

1. [illegible]

2. و[illegible]

التكييف

[illegible]

التمثيل والتشبيه

[illegible] فالتمثيل يقتضي المماثلة، وهي المساواةُ من كل وجه. والتشبيه يقضي المشابهة وهي المساواة في أكثر الصفات. وقد يطلق أحدهما على الآخر.

[illegible]

[illegible]

الإلحاد

[illegible]

1. [illegible]
2. [illegible]
3. [illegible]
4. [illegible]

[illegible]

الباب الرابع: في بيان صحة مذهب السلف وبطلان القول بتفضيل مذهب الخلف في العلم والحكمة على مذهب السلف

سبق القول في بيان طريقة السلف وذكر الدليل على وجوب الأخذ بها. أما هنا فإننا نريد أن نبرهن على أن مذهب السلف هو المذهب الصحيح، وذلك من وجهين:

[illegible]

[illegible]

[illegible] فأكثر من أن تحصر، مثلُ قوله تعالى: ([illegible]) وقولِه: ([illegible]) وقولِه تعالى: ([illegible] - إلى قوله - [illegible]) ومثلُ قوله ﷻ: ([illegible]) [illegible].

[illegible]: أن اعتقاده أن طريقة السلف مجردُ الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبـات معناها اعتقـاد باطل كـذبٌ على السـلف. فـإن السـلفَ أعلمُ الأمة بنصـوص الصـفات لفظـاً ومعـنىً، وأبلغُهم في إثبـات معانيها اللائقة بالله تعـالى على حسب مراد الله ورسوله.

[illegible]: أن السلف هم ورثة الأنبياء والمرسلين، فقد تلقوا علومهم من يُنبوع الرسالة الإلهية وحقائق الإيمـان. أما أولئك الخلفُ فقد تلقَوا ما عندهم من المجوس والمشـركين وضـلال اليهـود واليونـان. فكيف يكـون ورثةُ المجـوس

والمشـــركين واليهـــود واليونـــان وأفـــراخهمُ أعلمَ وأحكمَ في أسماء الله وصفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين؟!

[illegible]: أن هؤلاء الخلفَ الذين فضّل هذا الغبي طـــريقتهم في العلم والحكمة على طريقة الســـلف كـــانوا حيارى مضطربين بسبب إعراضـهم عما بعث الله به محمـداً [illegible]

[illegible]

الباب الخامس: في حكاية بعض المتأخرين لمذهب السلف

[illegible]

[illegible]

الباب السادس: في لَبس الحق بالباطل من بعض المتأخرين

[illegible]

[illegible]: في أقوال السلف المأثورة في الصفات

[illegible] روي هذا عن مكحـــولٍ والزهـــريّ ومالكِ بنِ أنسٍ وســـفيانَ الثـــوريّ والليثِ بنِ سعدٍ والأوزاعيّ.

[illegible]

الباب الثامن: في علو الله تعالى وأدلة العلوّ

علو الله تعالى من صفاته الذاتية، وينقسم إلى قسمين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أن الله إله في السماء وإله في الأرض، فألوهيته ثابتة فيهما وإن كان هو في السماء. ونظير ذلك قول القائل: فلان أمير في مكة وأمير في المدينة، أي إن إمارته ثابتة في البلدين، وإن كان هو في أحدهما، وهذا تعبير صحيح لغة وعرفاً، والله أعلم.

الباب التاسع: [illegible]

نريد بهذه الترجمة أن نبين هل الجهةُ ثابتة لله تعالى أو منتفية عنه؟

[illegible]

فإن أريد بها جهةَ سُفل، فإنها منتفية عن الله وممتنعة عليه، لأن الله تعالى قد وجب له العلو المطلق بذاته وصفاته. وإن أريد بها جهةَ علو تحيط به، فهي منتفية عن الله وممتنعة عليه أيضاً، فإن الله أعظمُ وأجلُّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، كيف وقد وسع كرسيه السموات والأرض؟ (والأرض جميعاً قبضته يومَ القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)؟ وإن أريد بها جهةَ علو تليق بعظمته وجلاله من غير إحاطة به، فهي حق ثابتة لله تعالى واجبة له.

قال الشيخ أبو محمد عبد القـادر الجيلاني في كتابه الغُنْيَـةُ (وهو ســبحانه بجهة العلو مســتو على العــرش، محتو على الملك) انتهى. ومعنى قوله: (مُحْتَوٍ على الملك) أنه محيط بالملك تبارك وتعالى.

فإن قيل: إذا نفيتم أن يكون شيء من مخلوقات الله محيطاً به، فما الجـواب عما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسـان نبيه [illegible]

[illegible] في السماء [illegible]:

الأول: [illegible]. [illegible]: (وَيُنَزِّلُ عليكم من السماء ماء) [illegible].

الثاني: [illegible] (في) [illegible] (على) [illegible]. [illegible] (على) [illegible]: (فسيحوا في الأرض) [illegible].

الباب العاشر: في استواء الله على عرشه

الاستواء في اللغة [illegible].

[illegible]: (ولما بلغ أشده واستوى) [illegible]: (ثم استوى إلى السماء) [illegible] على [illegible]: (لتستووا على ظهوره) [illegible].

[illegible].

[illegible]: (الرحمن على العرش استوى).

ومن أدلة السنة [illegible]

[illegible]: (لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه) [illegible] 34. وقال الشيخُ عبدُ القادر الـجَيْلانِيُّ: (إنه مذكور في كل كتاب أنزله الله على كل نبي) [illegible].

[illegible]

[illegible]: (الرحمن على العرش استوى) [illegible] - العرقُ - [illegible]: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً) [illegible].

فقوله: (الاستواء غير مجهول) [illegible]. وقوله: (والكيف غير معقول) [illegible]: (الإيمان به واجب) [illegible]. وقوله: (والسؤال عنه بدعة) [illegible].

[illegible]

قال بعض أهل العلم: إذا قال لك الجهمي [illegible].

وقال آخر: إذا قال لك الجهمي في صفة من صفات الله كيف هي؟ فقل له: كيف هو بذاته؟ فإنه لا يمكن أن يكيف ذاته. فقل له: [illegible].

فإن قال قائل: [illegible]

[illegible]

وأما قوله إن الجسم ممتنع على الله، فجوابه [illegible]

وهذه اللوازم التي يذكرها أهل البدع - ليتوصلوا بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال - على نوعين:

الأول [illegible]

الثاني [illegible]

فإن قال قائل: [illegible]

فالجواب [illegible]

فإن قيل: [illegible]

فالجواب [illegible]:

1- [illegible]

2- [illegible]

[illegible].

3- [illegible].

[illegible].

4- [illegible].

[illegible]:

الأول [illegible].

الثاني [illegible] - [illegible] - [illegible].

الثالث [illegible]. [illegible] احتمال [illegible].

الرابع أن يُبَيِّنَ الـدليلَ على أنّ المـرادَ من المعـاني المجازيةِ هو ما ادعـاه، لأنه يجـوز أن يكـون المـرادُ غـيرَه، فلا بد من دليل على التعيين. والله أعلم.

فصلٌ

[illegible] سرير الملك. قال الله تعالى عن يوسفَ: (ورفع أبويه على العرش) [illegible]: ([illegible]).

وأما عـرش الـرحمن الـذي استـوى عليه، فهو عـرش عظيم محيط بالمخلوقات، وهو أعلاها، وأكبرها كما في حــديث أبي ذرّ [illegible] أن النبي [illegible]: ([illegible]) [illegible]: ([illegible]) [illegible].

[illegible].

[illegible]. [illegible]: ([illegible]) [illegible].

[illegible].

[illegible]

الباب الحاديَ عشَرَ: [illegible]

[illegible]

---

[1] . قال الشيخ في الشرح: هذا الحديث ضعيف من حيث السند لكنه حسنه بعض أهل العلم.

أقسام معية الله لخلقه

الباب الثاني عشَرَ: في الجمع بين نصوص علو الله بذاته ومعيته

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الثالثَ عشَرَ: في نزول الله إلى السماء الدنيا

فصلٌ: في الجمع بين نصوص علوِّ الله تعالى بذاته ونزولِه إلى السماء الدنيا

[illegible]

الباب الرابعَ عشَرَ: في إثبات الوجه لله تعالى

مـذهب أهل السـنة والجماعة أن لله وجهـاً حقيقيـاً يليق به، موصـوفاً بـالجلال والإكـرام. وقد دلّ على ثبوته لله الكتـابُ والسنةُ.

[illegible]

الباب الخامسَ عشَرَ: في يدَي الله

مـــذهب أهل الســـنة والجماعة أن لله تعـــالى يـــدين اثنـــتين مبسوطتين بالعطاء والنِعَم. وهما من صفاته الذاتيةِ الثابتةِ له حقيقةً على الوجه اللائق بـــه. وقد دل على ثبوتهما الكتـــاب والسنة.

[illegible]

الباب السادسَ عشَرَ: في عينَيِ الله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله عينين اثنــتين، ينظر بهما حقيقةً، على الوجه اللائق به. وهما من الصـــــــفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة.

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible][2]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

[2]. قال الشيخ في الشرح: ..أفادنا المؤلف من قوله (بلا دليل) أنه يجوز صرف الكلام من حقيقته إلى مجازه بدليل. طيب، وإذا وجد دليل يعين المجاز، فهل نقول أنه مجاز صرف عن ظاهره بدليل؟ أو نقول إن هذا الدليل جعل ما يخالف الظاهر هو الحقيقة؟ هذا هو الصحيح. ومعلوم أن كتابتي لهذا الكتاب قبل أن يتبين لي صحة ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وجماعة من أهل العلم أنه لا مجاز في اللغة العربية لاسيما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. والله أعلم. انتهى

الباب السابعَ عشَرَ: في الوجوه التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين

[illegible]

الباب الثامنَ عشَرَ: [illegible]

اتفق أهل السـنة والجماعة على أن الله يتكلم، وأن كلامَـه صـفة حقيقية ثابتةٌ له على الوجه اللائق بـه. وهو سـبحانه يتكلم بحرف وصوت، كيف شاء متى شاء. فكلامه صفةُ ذات باعتبار جنسه، وصفةُ فعلٍ باعتبار آحاده.

وقد دل على هذا القول الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ([illegible]) وقولُه: ([illegible]) وقولُه: ([illegible]). [illegible]

إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته، وأنّ آحاده حادثة. [illegible] دليل على أنه بحرف، فإن مَقُول القول فيها حروف. [illegible] دليل على أنه بصوت، إذ لا يُعقل النداءُ والمناجاة إلا بصوت.

ومن أدلة السنة قول النبي [illegible]: ([illegible]).

[illegible]

[illegible]:

الأول [illegible]. وهو كقول أهل السنة، إلا أنهم قالوا: [illegible]، فِراراً من إثبات حوادثَ لا أولَ لها.

الثاني [illegible] أنه معنىً قائمٌ بذاته، لازمٌ لها كلزوم الحياة والعلم فلا يتعلق بمشيئته، والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله تعـالى لتـدلّ على ذلك المعـنى القـائمِ بذاته، وهو أربعةُ معانٍ [illegible].

الثالث [illegible]. وهو كقول الكُلابية، إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:

[illegible] في معاني الكلام. فالكُلابية يقولون إنه أربعة معانٍ. [illegible] إنه معنىً واحدٌ، فالخبر والاستخبار والأمر والنهي كلّ واحد منها هو عين الآخر، وليست أنواعـــاً للكلام بل صـفاتٍ لـه، بل التـوراة والإنجيل والقـرآن كلّ واحد منها عينُ الآخر لا تختلف إلا بالعبارة.

[illegible]: [illegible].

[illegible].

[illegible].

الخامس [illegible]. ثم من الجهمية من صرح بنفي الكلام عن الله، ومنهم من أقر به وقال إنه مخلوق.

السادس قول فلاسفة المتأخرين - أتبـاعِ أَرِسْـطو - أنه فيض من العقل الفعّــال على النفـــوس الفاضـــلة الزكية بحسب استعدادها وقَبولها، فيوجب لها تصـوراتٍ وتصـديقاتٍ بحسب ما قبلته منه، وهذه التصوراتُ والتصـديقات الــمُتخيَّلةُ تَقْـوَى حــتى تُصوِّرَ الشــيءَ المعقــولَ صــوراً نُورانيةً تخاطبها بكلام تسمعه الآذان.

السابع قول الاتحادية - القائلين بوحدة الوجــود - أن كل كلام في الوجـــود كلام الله، كما قـــال قـــائلهم: (وكل كلام في الوجود كلامه، سواء علينا نثره ونِظامه).

وكل هـــذه الأقـــوال مخالفةٌ لما دل عليه الكتـــاب والســـنة والعقل. ومن رزقه الله علماً وحكمةً فَهِم ذلك.

فصل: في أن القرآنَ كلامُ الله

مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله مـنزل غـير مخلـــوق، منه بـــدأ وإليه يعـــود، تكلم به حقيقةً وألقـــاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد ﷺ.

[illegible]

[illegible]

فصل: في اللفظ والملفوظ

[illegible][3].

[illegible][4] [illegible]

الباب التاسعَ عشَرَ: في ظهور مقالة التعطيل واستمدادها

شــاعت مقالةُ التعطيل بعدَ القــرون المفضــلةِ - الصــحابةِ والتـابعين وتـابعيهم - وإن كـان أصلُها قد نبغ في أواخرِ عصر التابعين.

وأولُ من تكلم بالتعطيل الــجَعْدُ بنُ دِرْهَمٍ، فقــال: (إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً)، فقتله خالدُ

---

3. قال الشيخ في الشــرح: ولهـذا ورد عن الإمـام أحمد رحمه الله أنه قـال: (من قـال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع) .. فـأنت الآن إن أطلقت (مخلوق) فرح بك الجهمية والمعتزلة، وإن أطلقت (غـير مخلـوق) فـرح بك القدريــة. = = إذاً لا تطلق .. أفادنا المؤلف أن (اللفظ) مصــدر. والمصــدر يصح أن يراد به الفعل اللي هو معنى المصدر، ويصح أن يراد به المفعول الناتج عن المصدر.

4. قال الشيخ في الشرح: وهذه الرواية عن أحمد تــبين المطلق من كلامــه، لأنه رحمه الله ورد عنه في هذه المسألة روايتان، رواية يقول: (من قال لفظي بالقرآن مخلــوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلـوق فهو مبتـدع) هـذا مطلـق، لكن الرواية الـتي معنـا: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد .. يريد القرآن فهو جهمي) لأن الجهمية يقولون إن القـرآن مخلـوق. فيكـون المطلق مما ورد عن الإمـام أحمد يجب أن يحمل .. على المقيد، وهو أن المراد: من قال لفظي بالقرآن يريد بذلك إيش؟ القرآن فإنه في هــذه الحال يكون جهمياً.

بنُ عبد الله القَسْرِيُّ الذي كان والياً على العراق لهشـامِ بن عبد الملك. خرج به إلى مُصَلى العيد بوِثاقه ثم خطب الناس وقال: (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فـإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً) ثم نزل وذبحه، وذلك في عيد الأضحى سنة 119 هـ.

وفي ذلك يقول ابنُ القيم رحمه الله في النونية: ([illegible]).

ثم أخـذها عن الجعدِ رجلٌ يُقـال له الجهمُ بنُ صـَفْوانَ. وهو الذي يُنسب إليه مـذهبُ الجهمية المعطلةِ لأنه نشـره، فقتله سلَمُ بنُ أَحْـوَزَ صـاحبُ شـرطة نصرِ بنِ سـَيَّارٍ، وذلك في خراسانَ سنةَ 128 هـ.

وفي حدود الـمِائةِ الثانيةِ عُـرِّبت الكتب اليونانيةُ والرومانيةُ، فازداد الأمر بلاء وشدة.

ثم في حـدود الـمِائةِ الثالثة انتشـرت مقالةُ الجهمية بسـبب بِشرِ بنِ غِيـاثٍ الـمِريسِيِّ وطبقتِه، الـذين أجمع الأئمةُ على ذمِّهم، وأكـثرُهم كفّـروهم أو ضَلَّلُوهم. وصـنف عثمـانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ رحمه الله كتاباً رد به على المريسي سماه (نقضُ عثمانَ بنِ سعيد، على الكـافرِ العنيد، فيما افـترى على الله من التوحيد). من طالع هذا الكتابَ بعلم وعدل تـبين له ضعفُ حجة هـؤلاء المعطلة بل بطلانُهـا، وأن هـذه التـأويلاتِ التي توجد في كلام كثير من المتأخرين - كـالرازي والغـزالي وابنِ عقيل وغيرهم - هي بعينها تأويلاتُ بِشْر.

وأما استمداد مقالة التعطيل، فكـان من اليهـود والمشـركين وضُلال الصابئين والفلاسفة.

فإن الجعدَ بنَ درهمٍ أخذ مقالته - على ما قيل - من أبَـانَ بن سَمْعانَ عن طالوتَ عن لَبِيدِ بنِ الأعصم اليهوديِّ الذي سحر النبيَّ [illegible].

[illegible]

[illegible]

الباب العشرون: في طريقة النفاة فيما يجب إثباته أو نفيه من صفات الله

اتفق النفـــاة على أن يثبتـــوا لله من الصـــفات ما اقتضت عقولُهم إثباتَه، وأن ينفُوا عنه ما اقتضت عقولُهم نفيَه، سواءٌ وافق الكتاب والسنة أم خالفهما. فطريق إثبات الصفات لله أو نفيها عنه عندَهم هو العقل. ثم اختلفـــــوا فيما لا يقتضي العقلُ إثباتَه أو نفيَه، فأكثرهم نفَوْه وخَرَّجوا ما جـاء منه على المجـاز، وبعضـهم توقف فيه وفوّض علمَـه إلى الله مع نفيِ دلالتِه على شيء من الصفات.

وهم يزعمـون أنهم وَفَّقُـوا بهـذه الطريقةِ بين الأدلةِ العقلية والنقليةِ. ولكنهم كـــذبوا في ذلك. لأن الأدلة العقليةَ والنقلية متفقةٌ على إثبـات صـفاتِ الكمـال لله. وكل ما جـاء في الكتـاب والسـنة من صـفات الله فإنه لا يخـالف العقـل، وإن كان العقل يعجز عن إدراك التفصيل في ذلك.

وقد شـابه هـؤلاءِ النفـاةُ في طـريقتهم طريقةَ من قـال الله فيهم: ([illegible]

[illegible]).

ووجهُ مشابهتهم لهم من وجوه:

[illegible]: أن كل واحد من الفـريقين يـزعم أنه مـؤمن بما أنـزل على النبي [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وكلُّ مبطل - يتسـتر في باطله ويتظـاهر بـالحق - فإنه يـأتي بالدعاوَى الباطلةِ التي يـروّج بها باطلَـه. ولكن من وهبه الله علماً وفهماً وحكمة وحسن قصد، فإنه لا يلتبس عليه الباطلُ ولا تَرُوج عليه الدعاوى الكاذبةُ، والله المستعان.

فصل: فيما يلزم على طريقة النفاة من اللوازم الباطلة

[illegible]:

[illegible]

[illegible]

[illegible] ([illegible]) ([illegible]) ([illegible]) ([illegible]).

[illegible]

فصل: فيما يعتمد عليه النفاة من الشبهات

1.

2.

3.

والرد على هؤلاءِ من وجوه:

الأولُ: نقضُ شـــبهاتهم وحججهم. وأنه يلـــزمهم فيما أثبتـــوه نظيرُ ما فَرُّوا منه فيما نَفَوْهُ.

[illegible]

الرابع: أن النصـوص الـواردةَ في الصـفات لا تحتمل التأويلَ. ولئن احتمله بعضُـها، فليس فيه ما يمنع إرادةَ الظـاهر فتعين المصيرُ إليه.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الحادي والعشرون: في أن كل واحد من فريقَي التعطيل والتمثيل قد جمع بين التعطيل والتمثيل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الثاني والعشرون: في تحذير السلف عن علم الكلام

علم الكلام هو ما أحدثه المتكلمــون في أصــول الــدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروهـا، وأعرضـوا بها عما جـاء في الكتاب والسنة به.

وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهلِه لما يُفْضِي إليه من الشُبُهاتِ والشكوك. حتى قال الإمام أحمدُ: (لا يفلح صاحب كلام أبداً). [illegible] :([illegible]

[illegible]).

[illegible] - [illegible] - [illegible] .[illegible][5]

[illegible][6] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]). [illegible] :([illegible]

[illegible]). فبين رحمه الله أن الغرضَ من نقلِه بيانُ

---

[5]. قال الشيخ في الشرح: لكن كلام الشـيخ أطـول من هـذا. يقـول: فـإن هـؤلاء أوتـوا فهوماً وما أوتوا علوماً وأوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأوتوا سمعاً وأبصـاراً وأفئـدة (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصـارهم ولا أفئـدتهم من شـيء إذ كـانوا يجحـدون بآيـات الله وحاق بهم ما كانوا به يسـتهزئون). هـذا كلام الشـيخ في الفتـوى الحموية في الأصـل، وليتني نقلته - ولكنه فاتني - لأن فيه فائدة عظيمة.

[6]. قال الشيخ في الشرح: ولكن إذا اجتمع عندنا نظران نظر الشرع ونظر القدَر، نُغَلِّب جانب الشرع.

الحق من أيِّ إنســـان، وإقامةُ الحجةِ على هـــؤلاء من كلام أئمتهم. والله أعلم.

الباب الثالث والعشرون: في أقسام المنحرفين عن الاستقامة في باب الإيمان بالله واليوم الآخر

[illegible]

[illegible]: أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل.

[illegible]

[illegible] (وفي كل شـيء له آية، تـدل على أنه واحد)، فـإن هـذه الحـوادثَ المنتظمةَ لا يمكن أن تحـدث إلا بمـدبر حكيم قـادر على كل شيء. [illegible]

[illegible][7] [illegible][8].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فصلٌ

[illegible]

[illegible]

---

[7]. قـال الشـيخ في الشـرح: في الحقيقة أنهم هم أهل التحريف ... لأن التأويل الـذي يريدونه: صرف الكلام عن ظاهره إلى المعنى المخـالف للظـاهر. وهـذا إذا لم يكن له دليل كان تحريفـاً. وهـذا هو الواقع في مـذهبهم ... تيسـمية أنفسـهم بأهل التأويل من باب التزيين والتلطيف والتغرير، لأنه من المعلـوم أنه لو سـموا أنفسـهم أهل التحريف ... لنفر الناس منهم.

[8]. قال الشيخ في الشرح: وقولنا (وأتبـاعِهم) يشـمل من اتبعهم اتباعـاً كـاملاً، ومن تبعهم اتباعاً جزئياً كالأشاعرة. فإن الأشاعرة بلا شك من أهل التأويل.

[illegible].

[illegible] وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه، فلزم القول بثبوتها. وهـذا إلـزام صـحيح وحجة قائمة لا محيدَ لأهل التأويل عنها، فـإن من منع صـرف الكلام عن حقيقته في نصــوص المعــاد يلزمه أن يمنعه في نصــوص الصــفات، الــتي هي أعظمُ وأكــثر إثباتــاً في الكتب الإلهية من إثبــات المعــاد. وإن لم يفعل فقد تــبين تناقضه وفساد عقله.

فصلٌ

[illegible][9] [illegible].

وطــريقتهم في نصــوص الصــفات إمــرار لفظها مع تفــويض معناها. ومنهم من يتناقض فيقــول: تُجــرى على ظاهرها، مع أن لها تـأويلاً يخالفه لا يعلمه إلا الله. وهـذا ظـاهر التنـاقض، فإنه إذا كان المقصود بها التأويل الذي يخالف الظــاهر - وهو لا يعلمه إلا الله - فكيف يمكن إجراؤها على ظاهرها؟

[illegible]: ([illegible])[10] [illegible].

---

[9] 9. قال الشيخ في الشرح: ويسمون أنفسهم تلبيساً وتزويراً بـ(أهل التفــويض) بأهل التفويض. لأنه معلوم إذا قال هذا مفـوض أهـون من إذا قيل هـذا مجهـل. إذا قيل هـذا مجهل يجهل الرسول ووأصحابه مو بمثل اللي يقول هذا مفوض يفوض العلم إلى الله.

[10] . قال الشيخ في الشرح: العجيب أن كثيراً من النـاس - الـذين لا يـدرون عن مـذهب السـلف - يقولـون إن أهل السـنة ينقسـمون إلى قسـمين لا ثـالث لهما .. أهل التأويل وأهل التفــويض. ويعنــون بـالتفويض تفــويضَ المعــنى، الــذي هو التجهيل في الواقع .. معناه أن السلف ليسوا من أهل السنة .. لأن السلف يثبتون المعـنى ولا يؤولـون، فهم ليســوا مفوضة كأهل التجهيل وليســوا مؤولة كأهل التعطيـل. فهنـاك .. قسم ثـالث ..

[illegible]

الأولى: أن آياتِ الصفات من المتشابهة.

[illegible]

فــإن أرادوا المعــنى الأول - وهو مــرادهم - فليست آيــات الصفات منه لأنها ظاهرة المعنى. وإن أرادوا المعـنى الثـاني فآيـــات الصـــفات منه، لأنه لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله تعـالى. وبهـذا عـرف أنه لا يصح إطلاق التشـابه على آيـات الصفات، بل لابد من التفصيل السابق.

[illegible]

وهم أهل السنة، وهم الذين يفوضون الكيفية ويقرون بالمعنى، وهم السلف.

[illegible]

الرابع: أن قـولهم يسـتلزم أن يكـون الله قد أنـزل في كتابه المـبين ألفاظـاً جوفـاءَ لا يَبِين بها الحـق، وإنما هي بمنزلة الحـروف الهجائية والأبجدية. وهـذا ينـافي حكمة الله الـتي أنزل الله الكتاب وأرسل الرسول من أجلها.

تنبيه

[illegible]

فصل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وأما التفسير الذي لا يعلمه إلا الله فهو حقــائق ما أخــبر الله به عن نفسه وعن اليــوم الآخــر، فــإن هــذه الأشــياء نفهم معناها، لكن لا ندرك حقيقة ما هي عليه في الواقع.

[illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible]

الباب الرابع والعشرون: في انقسام أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها

المـــــراد بأهل القبلة من يصــــــلي إلى القبلة، وهم كل من ينتسب إلى الإسلام[11].

[illegible]:

[illegible] وطائفتان قالوا تُجرى على خلاف ظاهرها، [illegible].

فالطائفتان الذين قالوا تُجرى على ظاهرها هم:

أولاً: طائفة المشــــبهة الـــــذين جعلوها من جنس صـــــفات المخلوقين[12]، ومذهبهم باطل أنكره عليهم السلف.

ثانياً: طائفة الســلف الـذين أجرَوْها على ظاهرها اللائقِ بالله تعـالى. ومـذهبهم هو الصـواب المقطـوعُ به، لدلالة الكتـاب

---

[11]. قال الشيخ في الشرح: ... أما هل هم مسلمون أو غير مسـلمين، هـذا شـيء آخر . المهم هؤلاء يقولون أنهم مسلمون.

[12]. قال الشيخ في الشرح: ونحن إذا سمينا هذا ظـاهراً فإنما نسـميه من بـاب التَّنَـزُّل. وإلا فليس ظاهرُ كلام الله ورسوله في صفاته ليس ظاهرُه التشبيهَ، لكن تنزُّلاً معهم.

والسنة والعقل عليه دلالةً ظاهرةً، إما قطعية وإما ظنية، كما تقدم دليل وجوبها وصحتها في البابين الثالث والرابع.

والفــرق بين هــاتين الطــائفتين أن الأولى تقــول بالتشــبيه والثانية تنكره.

فــإن قــال المشــبه - في علم الله ونزوله ويــده مثلاً - أنا لا أعقل من العلم والنزول واليد إلا مثلَ ما يكون للمخلوق من ذلك.

فجوابه من وجوه:

الأول: أن العقل والســـــــــمع قد دل كل منهما على مباينة الخالق للمخلوق في جميع صـفاته. فصـفات الخـالق تليق به وصفات المخلوق تليق به.

فمن أدلة الســمع - على مباينة الخــالق للمخلــوق - قوله تعالى: (ليس كمثله شيء).

ومن أدلة العقل أن يقــال: كيف يكــون الخــالقُ الكاملُ من جميع الوجــوه الــذي الكمــالُ من لــوازم ذاته وهو معطي الكمال، مشـابهاً للمخلـوق النـاقص الـذي النقصُ من لـوازم ذاته وهو مفتقر إلى من يُكمِّله؟!

الثــاني: أن يقــال له: ألست تعقل لله ذاتــاً لا تشــبه ذواتِ المخلــوقين؟ فســيقول: بلى. فيقــال له: فلتعقل إذاً أن لله صفاتٍ لا تشبه صفاتِ المخلوقين، فـإن القـول في الصـفات كالقول في الذات، ومن فرَّق بينهما فقد تناقض.

الثالث: أن يقال: نحن نشاهد من صفات المخلوقات صــفات اتفقت في أسمائها وتبـاينت في كيفيتها، فليست يد الإنسـان كيد الحيــوان الآخر. فــإذا جــاز اختلافُ الكيفية في صــفات المخلوقات مع اتحادها في الاسم، فاختلاف ذلك بين صــفات الخـالق والمخلـوق من بــاب أولى. بل التبــاينُ بين صــفات الخالق والمخلوق واجبٌ كما تقدم.

وأما الطائفتـان الذِين قـالوا: تُجـرى على خلاف ظاهرهـا، وأنكروا أن يكون لله صفاتٌ ثبوتيةٌ، أو أنكروا بعض الصفات، أو أثبتوا الأحوال دونَ الصفات[13]. فهم:
أولاً: أهل التأويل من الجهمية وغـيرِهم الـذين أوّلـوا نصـوص الصفات إلى معـانٍ عيّنوها، كتـأويلهم اليدَ بالنعمة والاسـتواء بالاستيلاء ونحو ذلك.
ثانيـاً: أهل التجهيل المفوضة الـذين قـالوا: الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات، لكننا نعلم أنه لم يُرِد إثبـاتَ صـفةٍ خارجية له تعالى. وهـذا القـول متنـاقض، فـإن قـولَهم: (نعلم أنه لم يُـرد إثبـات صـفة خارجية له) ينـاقض التفـويض، لأن حقيقة التفويض أن لا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات، وهذا ظاهر.
والفـرق بين هـاتين الطـائفتين أن الأولى أثبتـوا لنصـوص الصـفات معـنىً لكنه خلاف ظاهرهـا، وأما الثانية فيفوضـون ذلك إلى الله من غير إثبات معـنى مع قـولهم إنه لا يُـراد من تلك النصوص إثبات صفة لله [14].
وأما الطائفتان الذِين توقفوا فهم:
أولاً: طائفة جوّزوا أن يكون المرادَ بنصـوص الصـفات إثبـات صفة تليق بالله وأن لا يكـون المـرادَ ذلـك، وهـؤلاء كثـير من الفقهاء وغيرهم.
ثانيـاً: طائفة أعرضـوا بقلـوبهم وألسـنتهم عن هـذا كله، ولم يزيدوا على قراءة القرآن والحديث.
والفـــرق بين هـــذه الطائفة والـــتي قبلها: أن الأولى تحكم بتَجْوِيز الأمرين الإثباتِ وعدمِـه، وأما الثانيةَ فلا تحكم بشـيء أبداً، والله أعلم[15].

---

[13]. قال الشيخ في الشرح: المعتزلة وكذلك الأشاعرة أيضاً. وش معنى الأحوال؟ قـالوا مثلاً إن الله سميع. ليس المعنى أن له سمعاً، لكن هو ذو سمع .. يعني حاله أن يكـون سميعاً، لكن تبي تثبت .. أنه له سمع لا. فأقول هو ذو سمع، وليس المعـنى أنه متصف بسمع. فيكون الله عليم. وكونه عليماً هذه هي الحال. أما أن له علماً فلا. ولا شك هذا تناقض.

[14]. قـال الشـيخ في الشـرح: ولا شك أن الطائفة الـتي تثبت لها معـنىً خـير في العقل والنظر ممن لا تثبت. ولا شك أن التي تثبت معنى يخالف الظاهر أشد جرأة من الـذين توقفوا، أشد. فكل واحدة من الطائفتين خير من الأخرى من وجه.

[15]. قال الشيخ في الشرح: وكلتا الطائفتين ضالتان. لأننا كوننا نُجَوِّز هذا وهذا وهـذا في أشياءَ لا تليق بالله، هذا حرام، فما لا يليق بالله لا يمكن أن يجوز. والثانية كوننا نعـرض

الباب الخامس والعشرون: في ألقاب السوء التي وضعها المبتدعة على أهل السنة

من حكمة الله تعالى أن جعل لكل نبي عدواً من المجرمين، يصدون عن الحق بما استطاعوا من قول وفعل، بأنواع المكائد والشُبُهات والدعاوى الباطلة، ليتبينَ بذلك الحقُّ ويتضحَ ويعلوَ على الباطل. وقد لقِيَ النبيُّ وأصحابُه من هذا شيئاً كثيراً، كما قال تعالى: (ولَتسمعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً). فقد وضع أولئك الظالمون المشركون للنبي وأصحابه ألقابَ التشنيع والسخرية مثلَ ساحرٍ ومجنونٍ وكاهنٍ وكذابٍ ونحوَ ذلك.

ولَمّا كان أهل العلم والإيمان هم ورثةَ النبي لقُوا من أهل الكلام والبدع مثلَ ما لقيه النبي وأصحابُه من أولئك المشركين. فكانت كل طائفة من هذه الطوائف تلقب أهل السنة بما برأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرِيَة. إما لجهلهم بالحق، حيث ظنوا صحةَ ما هم عليه وبطلانَ ما عليه أهل السنة. وإما لسوء القصد، حيث أرادوا بذلك التنفيرَ عن أهل السنة والتعصبَ لآرائهم، مع علمهم بفسادها.

فالجهمية ومن تبعهم من المعطلة سَمَّوْا أهل السنة (مُشَبِّهَةً) زعماً منهم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيهَ.

والروافض سَمَّوْا أهل السنة (نواصباً) لأنهم يوالون أبا بكر وعمرَ كما كانوا يوالون آل النبي . والروافض تزعم أن من والى أبا بكر وعمرَ فقد نَصَبَ العداوةَ لآل البيت، ولذلك كانوا يقولون: لا ولاءَ إلا ببراءٍ، أيْ لا ولاية لآل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمرَ.

والقدرية النُّفاةُ قالوا أهل السنة (مُجْبِرَةٌ) لأن إثبات القدر جَبْرٌ عند هؤلاء النُّفاة.

عن هذا كله، مخالف لقوله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك مبارك لِيدّبروا آياته ولِيتذكر أولو الألباب) ووقوع فيما أنكر الله حيث قال : (أفلم يدَّبروا القول) وهذا الاستفهام للإنكار. فالله أمرنا بالتدبر لنثبت المعنى الذي دل عليه اللفظ.

والمرجئة المـانعون من الاسـتثناء في الإيمـان يسـمون أهل السـنة (شـُكّاكاً) لأن الإيمـان عنـدهم هو إقـرار القلب، والاستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة.
وأهل الكلام والمنطق يسـمون أهل السـنة (حَشـَوِيَّةً) من الـحَشْوِ وهو ما لا خير فيه. ويسـمونهم (نَوابِتـاً) وهي بـذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها. ويسـمونهم (غثـاءً) وهو ما تحمله الأودية من الأوساخ. لأن هؤلاء المناطقةَ زعموا أن من لم يحط علمـاً بـالمنطق فليس على يقين من أمـره، بل هو من الرِّعاع الذين لا خيرَ فيهم.
والحق أن هذا العِلمَ الذي فَخَرُوا به لا يغني من الحق شـيئاً، كما قال الشـيخ رحمه الله في كتابه (الـردُّ على المنطقِيِّين): (إني كنت دائماً أعلم أن المنطق[16] اليونانِيَّ لا يحتـاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد) انتهى.

الباب السادس والعشرون: في الإسلام والإيمان

الإسـلام لغةً الانقيـاد، وشـرعاً استسـلام العبد لله ظـاهراً وباطنـاً بفعل أوامـره واجتنـاب نواهيه، فيشـمل الـدين كلَّه. قال الله تعالى: (ورضِيت لكم الإسلام ديناً) وقال تعـالى: (إن الـدين عند الله الإسـلام) وقـال تعـالى: (ومن يبتغ غـير الإسلام ديناً فلن يقبل منه).
وأما الإيمـان فهو لغةً التصـديق، قـال الله تعـالى: (وما أنت بمـؤمن لنا). وفي الشـرع إقـرار القلب المسـتلزِم للقـول والعمل. فهو اعتقـاد وقـول وعمل: اعتقـاد القلب، وقـول اللسان، وعمل القلب والجوارح.

---

[16]. قـال الشـيخ في الشـرح: والعلمـاء رحمهم الله اختلفـوا في جـواز تعلم المنطـق، فمنهم من حرمه ومنهم من قـال إنه مسـتحب بل ومنهم من أوجبه ... ولكن القـول الصـحيح - عند بعض العلمـاء - أنه جـائز للإنسـان الصـافي القريحـةِ السـالِمِ المعتقـدِ. وعندي أنه لا يجوز – ليش - لأنه ما دام ضياع وقت ولا ينتفع به فإن النبي عليه الصـلاة والسلام يقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) ... فيكون تعلمه ابتداء لا يجوز. تعلمه عند الضرورة للرد على أهله وغيرهم يكون جائزاً ولا بـأس به، بل قد يكـون واجبـاً. ولهـذا نجد شـيخ الإسـلام رحمه الله مع أنه يتكلم عن المنطق هذا الكلام نجد أنه يُحاجّ أهل المنطق بمنطقهم وبلسانهم حتى يبين لهم الحق.

والدليل على دخول هـذه الأشـياءِ كلِّها في الإيمـان قوله ﷺ: (الإيمـان أن تـؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر والقدر خيرِه وشرِه) وقولُه: (الإيمان بضع وسبعون شــعبةً، فأعلاها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).
فالإيمان بالله وملائكته – إلى آخره - اعتقاد القلب، وقــول لا إله إلا الله قـــول اللســـان، وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجــوارح، والحيــاء عمل القلب. وبــذلك عُــرف أن الإيمــانَ يشـمل الـدين كلَّه، وحينئذ لا فـرق بينه وبين الإسـلام، وهـذا حينما ينفرد أحدهما عن الآخر.
أما إذا اقترن أحدهما بالآخر، فإن الإسلام يُفسَّر بالاستســلام الظاهر الذي هو قـول اللسـان وعمل الجـوارح، ويصـدر من المؤمن الكاملِ الإيمان والضعيفِ الإيمان - قال الله تعالى: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنـوا ولكن قولـوا أسـلمنا ولَمّـا يــدخلِ الإيمــانِ في قلــوبكم) - ومِن المنــافقِ لكن يُســَمّى مسلماً ظاهراً ولكنه كافر باطناً.
ويُفسـَّر الإيمـانُ بالاستسـلام البـاطنِ الـذي هو إقـرار القلب وعمله، ولا يصدر إلا من المؤمن حقاً، كما قال تعـالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وَجِلت قلــوبُهم وإذا تُلِيَت عليهم آياتُــه زادتهم إيمانـــاً وعلى ربهم يتوكلــون. الــذين يقيمـــون الصلاة ومما رزقنـاهم ينفقـون. أولئك هم المؤمنـونَ حقـاً).
وبهـذا المعـنى يكـون الإيمـان أعلى، فكل مـؤمنٍ مسـلمٌ ولا عكس.

فصل في زيادة الإيمان ونقصانه

من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص.
وقد دل على ذلك الكتــاب والســنة. فمن أدلة الكتــاب قوله تعالى: (ليزدادوا إيماناً مع إيمـانهم). ومن أدلة السـنة قوله في النسـاء: (ما رأيت من ناقصـات عقل ودين أذهبَ للب الرجل الحــازم من إحــداكن).[17] ففي الآية إثبــات زيــادة الإيمان، وفي الحديث إثبات نقص الدين.
وكل نص يـدل على زيـادة الإيمـان فإنه يتضـمن الدَّلالة على نقصه وبــالعكس، لأن الزيــادةَ والنقصَ متلازمــان لا يُعقَــل أحدُهما بدون الآخر.
وقد ثبت لفظ الزيادةِ والنقصِ منه عن الصحابة، ولم يعــرف عنهم مخالف فيه، وجمهور الســلف على ذلك. قـال ابن عبد الــــبر: وعلى أن الإيمــــان يزيد وينقص جماعةُ أهل الآثــــار والفقهاءُ أهلُ الفتيا في الأمصار. وذَكرَ عن مالك روايتين في إطلاق النقص، إحداهما التوقفُ والثانيةُ موافقةُ الجماعة.
وخالف في هذا الأصل طائفتان:
إحداهما: المرجئة[18] الخالصة الذين يقولون إن الإيمـانَ إقـرار القلب. وزعموا أن إقرار القلب لا يتفاوت، فالفاسق والعـدل عندهم سواء في الإيمان.
الثانية: الوعيدية من المعتزلة والخــوارج الـذين أخرجـوا أهل الكبائر من الإيمان. وقــالوا إن الإيمـان إما أن يوجد كلُّه وإما أن يُعدَم كلُّه، ومنعوا من تفاضله.
وكل من هــاتين الطــائفتين محجــوج بالســمع والعقل. أما الســمع فقد تقــدم في النصــوص ما دل على إثبـات زيـادة الإيمان ونقصه.

---

[17]. قال الشيخ في الشرح: ونحن نُشهد الله وملائكتَه ومن سمع كلامنا هذا، أننا نقـول ونرى أنه يلزم أن يقولَ كلُّ مؤمن بما قاله النبي عليه الصلاة والسـلام: إنهن ناقصـات عقل ودين، وأن من السَّـفَه والخطإ والخطر الخطل أن يُوكل إليهن تـدبير المسـلمين العــامُّ، أما تــدبير المنــازل والــبيوت فهــذه إليهن، لأن المــرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها.

[18]. قـال الشـيخ في الشـرح: المرجئة تقـدم الكلام عليهم وأن هـذا اللفظ مـأخوذ من الرجاء أو من الإرجاء. من الرجاء لأنهم يرجون الفاسق فيقولون أنت ما عليك عقوبـة. أو من الإرجاء لأنهم أرجؤوا الأعمال عن الإيمان وأخروها عنه فلا يدخلونها فيه.

وأما العقل فنقول للمرجئة: قـولكم: (إن الإيمـان هو إقـرار القلبِ، وإقـــرار القلب لا يتفــاوت) ممنـــوع في المقدِّمتين جميعاً .

أما المقدمة الأولى: فتخصيصـــكم الإيمــــان بـــإقرار القلب مخـــالف لما دل عليه الكتــاب والســنة من دخــول القــول والعمل في الإيمان.

وأما المقدمة الثانية فقولكم: (إن إقـرار القلب لا يتفـاوت) مخالف للحس. فـإن من المعلـوم لكل أحد أن إقـرار القلب إنما يتبع العلمَ، ولا ريب أن العلم يتفـــاوت بتفـــاوت طرقه. فـإن خـبر الواحد لا يفيد ما يفيـده خـبر الاثـنين وهكـذا. وما أدركه الإنســـــان بـــــالخبر لا يســــاوي في العلم ما أدركه بالمشـاهدة. فـاليقين درجـات متفاوتة، وتفـاوت النـاس في اليقين أمر معلـــوم. بل الإنســــان الواحد يجد من نفسه أنه يكون في أوقات وحالات أقوى منه يقيناً في أوقات وحــالات أخرى.

ونقــــول: كيف يصح لعاقل أن يحكم بتســــاوي رجلين في الإيمان، أحدُهما مثـابر على طاعة الله تعـالى فرضِـها ونفلِها متباعدٌ عن محــارم الله وإذا بــدرت منه المعصــية بــادر إلى الإقلاع عنها والتوبة منهـا، والثـاني مضيِّعٌ لما أوجب الله عليه ومُنْهَمِك فيما حرم الله عليه غيرَ أنه لم يـأت ما يُكفِّرُه، كيف يتساوى هذا وهذا؟!

وأما الوعيدية فنقول لهم: قـولكم (إن فاعل الكبـيرة خـارج من الإيمان) مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة. فـإذا تـبين ذلك فكيف نحكم بتســــاوي رجلين في الإيمـــــان، أحدُهما مُقْتَصِد - فاعل للواجبات تارك للمحرمـات -، والثـاني ظـالِمٌ لنفسه بفعل ما حرّم الله عليه وبترك ما أوجب الله عليه من غير أن يفعل ما يَكْفُر به؟!

ونقــول ثانيــاً: هب أننا أخرجنا فاعل الكبــيرة من الإيمــان، فكيف يمكن أن نحكم على رجلين بتســـاويهما في الإيمـــان وأحدهما مقتصد، والآخر سابق بالخيرات بإذن الله؟!

فصلٌ

ولزيادة الإيمان أسباب منها:

1. معرفة أسماء الله وصفاته. فإن العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها وآثارها، ازداد إيماناً بربه وحباً له وتعظيماً.
2. النظر في آيات الله الكونية والشرعية. فإن العبد كلما نظر فيها وتأمّل ما اشتملت عليه من القدرة الباهرة والحكمة البالغة، ازداد إيمانُه ويقينُه بلا ريب.
3. فعل الطاعة. فإن الإيمان يزداد به بحسب حُسْن العمل وجنسه وكثرته. فكلما كان العملُ أحسنَ كانت زيادة الإيمان به أعظمَ. وحُسْن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة. وأما جنس العمل، فإنّ الواجبَ أفضلُ من المسنون، وبعض الطاعات أَوْكَدُ وأفضلُ من البعض الآخر. وكلما كانت الطاعةُ أفضلَ كانت زيادةُ الإيمان بها أعظمَ. وأما كثرةُ، العمل فإن الإيمان يزداد بها لأن العمل من الإيمان، فلا جرم أن يزيدَ بزيادته.
4. ترك المعصية خوفاً من الله . وكلما قَوِيَ الداعي إلى فعل المعصية كان زيادةُ الإيمان بتركها أعظمَ. لأن تركها مع قوة الداعي إليها دليل على قوة إيمان العبد وتقديمه ما يحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسُه.

وأما نقص الإيمان فله أسباب:

1. الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته.
2. الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله وأحكامه الكونية والشرعية. فإن ذلك يوجب مرضَ القلب أو موتَه باستيلاء الشهوات والشُّبهات عليه.
3. فعل المعصية فيَنقص الإيمان بحسب جنسها وقَدْرها والتهاونِ بها وقوةِ الداعي إليها أو ضعفِه.

فأما جنسُها وقدرها، فإن نقصَ الإيمان بالكبائر أعظمُ من نقصه بالصغائر، ونقصَ الإيمان بقتل النفس المُحَرَّمةِ أعظمُ من نقصه بأخذ مال مُحْتَرَمٍ، ونقصَه بمعصيتين أكثرُ من نقصه بمعصية واحدة وهكذا.

وأما التهاونُ بها، فإن المعصية إذا صـدرت من قلب متهـاون بمن عصاه ضعيفِ الخوف منه كـان نقصُ الإيمـان بها أعظم من نقصه إذا صـــدرت من قلب معظم لله تعـــالى شـــديدِ الخوف منه لكنْ فَرَطَتْ منه المعصيةُ.

وأما قـــوةُ الـــداعي إليها، فـــإن المعصـــيةَ إذا صـــدرت ممن ضـَعُفَتْ منه دواعِيها كـان نقصُ الإيمـان بها أعظمَ من نقصه إذا صـدرت ممن قـويت منه دواعِيها. ولـذلك كـان اسـتكبارُ الفقـير وزِنَى الشـيخِ أعظمَ إثمـاً من اسـتكبار الغـني وزنى الشـــابّ، كما في الحـــديث: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم) وذكر منهم: الأُشَيْمِطَ الزانِيَ والعائلَ المستكبِرَ، لقِلة داعي تلك المعصية فيهما.

4. تـــركُ الطاعة. فـــإن الإيمـــان ينقص به، والنقصُ به على حسب تَأَكُّدِ الطاعة. فكلما كـــانتِ الطاعةُ أَوْكدَ كـــان نقصُ الإيمان بتركِها أعظمَ. وربما فُقِدَ الإيمانُ كلُّه كترك الصلاة.

ثم إنّ نقصَ الإيمان بـترك الطاعة على نـوعين. نـوعٌ يعـاقب عليه، وهو ترك الـواجب بلا عـذر. ونـوعٌ لا يعـاقب عليه، وهو تركُ الواجب لعذر شرعي أو حسي وتركُ المستحب، فالأول كـترك المـرأة الصـلاةَ أيـام الحيض، والثـاني كـترك صـلاة الضحى. والله أعلم.

فصلٌ في الاستثناء في الإيمان

الاستثناء[19] في الإيمان أن يقول: أنا مؤمن إن شـاء الله. وقد اختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها تحريم الاستثناء. وهو قول المرجئة والجهمية ونحوهم. ومأخذ هذا القولَّ أن الإيمان شـيء واحد يعلمه الإنسـان من نفسه، وهو التصديق الذي في القلب. فإذا استثنى فيه، كـان دليلاً على شـكه. ولـذلك كـانوا يُسمُّون الـذين يسـتثنون في الإيمان شُكَّاكاً.

---

[19]. قال الشيخ في الشرح: الأشياء المعلومةُ الـمُحَقَّقَةُ يكون الاستثناءُ فيها عبثاً ولغـواً. والأشياءُ غير الـمُحَقَّقَة يكون الاستثناء فيها له مَحَلّ.

والقول الثاني وجوب الاستثناء. وهذا القولُ له مأخذان:
أولاً: أن الإيمـان هو ما مـات الإنسـان عليه، فالإنسـان إنما يكون مؤمناً وكافراً بحسب الموافـاة. وهـذا شـيء مسـتقبل غـيرُ معلـوم، فلا يجـوز الجـزم به. وهـذا مأخذُ كثـيرٍ من المتأخرين من الكُلابية وغيرهم. لكنّ هـذا المأخذَ لم يُعْلَم أن أحـداً من السـلف علّـل به[20]، وإنما كـانوا يعلِّلـون بالمأخذ الثاني.
وهو: أن الإيمـانَ المطلقَ يتضـمن فعلَ جميعِ المـأمورات وتـركَ جميعِ المحظـورات. وهـذا لا يَجزِم به الإنسـان من نفسه. ولو جـزم لكـان قد زكّى نفسه وشـهد لها بأنه من المتقين الأبرار، وكـان ينبغي على هـذا أن يشـهد لنفسه بأنه من أهل الجنة، وهذه لوازمُ مُمْتَنِعَةٌ.
القول الثالث التفصيل.
فإن كان الاستثناء صـادراً عن شكّ في وجـود أصل الإيمـان، فهـذا محـرمٌ بل كفر. لأن الإيمـانَ جـزمٌ والشكَّ ينافيه. وإن كـان صـادراً عن خـوفِ تزكيةِ النفس والشـهادةِ لها بتحقيق الإيمـان قـولاً وعملاً واعتقـاداً، فهـذا واجب خوفـاً من هـذا المحـذور. وإن كـان المقصـودُ من الاسـتثناء التَّبَـرُّكَ بـذكر المشـيئة، أو بيـانَ التعليل وأن ما قـام بقلبه من الإيمـان بمشيئة الله، فهذا جائز.
والتعليق بالمشيئة على هـذا الوجه - أعـني بيـانَ التعليل - لا ينـافي تَحَقُّقَ الـمُعَلَّقِ، فإنه قد ورد التعليقُ على هـذا الوجه في الأمور المحققة، كقوله تعالى: (لتدخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحَلِّقِين رؤوسكم ومُقَصِّرِين لا تخافون).
وبهذا عُرف أنه لا يصحّ إطلاق الحكم على الاسـتثناء، بل لابد من التفصيل السابق.

والله أعلم.

[20]. قال الشيخ في الشرح: أما على قـول بعض الكلابية الـذين يقولـون تقـول إن شـاء الله لأنك لا تدري ماذا تموت عليه فهذا ليس بصحيح لأن الإنسـان إنما يخـبر عن نفسه الآن أما المستقبل فالله به عليم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حُرِّرَ في 8 من ذي القعدة سنة 1380هـ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.